

الشهادة الثالثة إسبير منير (اللد)¹

”هذا ولا يزال جامع دهمش مغلقاً وأرضه ملطخة
بدماء الشهداء حتى يومنا هذا.
”في ثالث يوم، أي الثلاثاء، وبعد هذه المجازر
المفزعة، بدأ الجنود طرد كل من بقي في منزله إلى
خارج المدينة، ومنها إلى منطقة مدينتي رام الله
والبيرة. كان المطرودون يزحفون مثل أسراب النمل في
جميع الطرقات والممرات.“

هدأت معارك اليوم الأول بعد منتصف الليل، ولم نعد نسمع أزيز الرصاص ولا
دوي القنابل، كأن المحاربين من الطرفين قد توصلوا إلى اتفاق لوقف إطلاق النار.
استمر هذا الهدوء حتى فجر اليوم الثاني، 12/7/1948، لتتجدد بعده المعارك داخل
أحياء المدينة التي لم تدخلها قوات الاحتلال بعد، بسبب مقاومة قواتها. وفي الفجر
تمكنا من مشاهدة جثث كثيرة ملقاة في الشوارع والأزقة. أخبرنا الكثيرون من سكان
المدينة المطرودين أن جثث القتلى منتشرة في شوارع الأحياء التي طردوا منها، وأن
جنود الاحتلال أمروهم بقسوة بمغادرة منازلهم والرحيل، وإلا سيقتلون مثل غيرهم.
كان السكان المطرودون يسرون في الشوارع والأزقة كالسيل الذي لا ينقطع، ويكون
ويتأوهون، وقد تركوا بيوتهم مليئة ولا ينقصها شيء، وحملوا معهم بعض الأمتعة
الخفيفة وهم يزحفون مثل أسراب النمل. وكنا نشاهد هذه المناظر من الطبقة العلوية
في المستشفى بواسطة ناضور مكبر (التلسكوب)، فتمكنا من مشاهدة ما يجري في
بعض أنحاء المدينة.

¹ المصدر: مقتبسة من كتاب: ”اللد في عهدي الانتداب والاحتلال“ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،
1997)،
ص 95 - 100.

في الثانية عشرة ظهراً تقريباً، سمعنا صوت إطلاق الرصاص ودوي انفجار القنابل من جميع أنحاء المدينة بصورة شديدة جداً، وخصوصاً من الجهة الشمالية الغربية. صار السكان المطرودون يركضون ويصيحون من الخوف تاركين بعضهم بعضاً، لا يسألون عن أم أو أب، أخت أو أخ، ورصاص القوات المحتلة يُطلق فوق رؤوسهم. امتلأت المدينة بأصوات الأهالي، فالنساء يصرخن ويولولن خوفاً وفزعاً، وقد أضعن أطفالهن ولا يعرفن أين هم، أحياء هم أو أموات. الأطفال يبكون ويصرخون ويسألون عن آبائهم وأمهاتهم، يركضون ولا يعرفون إلى أين. الرجال يصرخون من الرعب والخوف، وهم يركضون في الشوارع والأزقة، لا يعرفون أين نساؤهم وأولادهم، مستغيثين بالله سبحانه وتعالى ومرددين: "يا رحمن يا رحيم اشفق علينا، الله أكبر، يا رب العالمين احمنا وأطفالنا واستر عيالنا." كيف لا؟ وهم في هربهم وركضهم يمرّون فوق جثث شهداء من أقاربهم وأهلهم، ولا مجال للالتفات أو التحقق.

سمعنا أن المدرعات الأردنية قامت بهجوم قوي على القوات الإسرائيلية الموجودة في اللد، وأن بعض من كان في المدينة اشترك في المعارك في شوارع المدينة وأحيائها. وكان صوت إطلاق الرصاص والقنابل يسمع من كل صوب [....]. أما جامع دهمش فقد لجأ إليه عدد كبير من السكان خوفاً من انتقام جنود الاحتلال، إذ اعتقدوا أن الجنود لا يجرؤون على اقتحام المساجد أو بيوت العبادة، لكن هؤلاء الجنود وقادتهم خالفوا كل الأعراف واقتحموا المسجد وقتلوا جميع من فيه [....]. وسمعت من الذين نقلوا جثث الشهداء الذين قتلوا بجامع دهمش أنهم نقلوا 93 جثة من داخل الجامع وبعضهم قال إن عددهم يزيد كثيراً على مئة شهيد [....].

هذا ولا يزال جامع دهمش مغلقاً وأرضه ملطخة بدماء الشهداء حتى يومنا هذا.

في ثالث يوم، أي الثلاثاء، وبعد هذه المجازر المفزعة، بدأ الجنود طرد كل من بقي في منزله إلى خارج المدينة، ومنها إلى منطقة مدينتي رام الله والبييرة. كان المطرودون يزحفون مثل أسراب النمل في جميع الطرقات والممرات. أخبرنا بعض الأهالي الذين رجعوا إلى المدينة في المساء، وكانوا مختبئين في الحقول والبيارات، أن جنود الاحتلال وضعوا حواجز على جميع الطرق المتجهة شرقاً والتي وجّه إليها النازحون من سكان المدينة، حيث كان الجنود الواقفون على تلك الحواجز يفتشون النازحين، وخصوصاً النساء، ويسلبون مصاعهن من صدورهن ومن أيديهن ومن

داخل أجسامهن حيث كنَّ يخفينها، بالإضافة إلى النقود، وكل شيء خفيف الحمل وغالي الثمن [...] .

[.....]

وصف جندي آخر الآثار التي تركها اللاجئون خلفهم في مسارهم الطويل. في البداية، تركوا أجهزة وقطع أثاث، ثم تركوا جثث النساء والرجال والأولاد، وكانت مبعثرة في الطرقات. كما شاهد شيوخاً مسنين جالسين في ظل عرباتهم يرجون ويطلبون نقطة ماء، غير متوفرة، الأمر الذي أثار شفقة في قلبه [...] .

لنعد الآن إلى اللد وما يجري فيها. بعد الهدوء النسبي لإطلاق النار ولدوي القنابل، وبسبب هول المذابح التي جرت هناك، والتي تقشعرُّ لها الأبدان، استمرت سيول المهجّرين في السير في الطرق المؤدية إلى المناطق الشرقية، إلى مدينتي رام الله والبيرة والقرى المحيطة بهما. في الواقع، إن ما حدث في اليوم الثاني للمعارك، لا يمكن أن يصفه أي كاتب أو إنسان شاهد تلك الأحداث، مهما يكن ضليعاً في الكتابة وبارعاً في الوصف.

في العصر وقبل الغروب، تجددت المعارك بشدة وسمع صوت إطلاق النار من كل صوب، وخصوصاً من الجهة الجنوبية الغربية والجهة الشرقية. علمنا أن قوات الاحتلال حاولت اقتحام مبنى الشرطة في المدينة، الذي تحصن فيه قسم من مقاتليها، ومعهم بعض الجنود الأردنيين. قُصف المبنى بعدد كبير من قذائف المدفعية، لكن هذه المحاولة فشلت إذ إن المقاتلين استبسلوا واستماتوا في دفاعهم عنه. عندها جمعت قوات الاحتلال بعض وجهاء المدينة من الذين لم ينزحوا، وشكلت منهم وفداً لمقابلة المقاتلين، في مبنى الشرطة، ومطالبتهم بالاستسلام، وتبليغهم أن قوات الاحتلال ستسمح لهم بمغادرة المكان من دون أن تمسهم بأذى. إن الوجهاء الذين أُجبروا على الذهاب إلى المقاتلين هم: رئيس دير الروم الأورثوذكس في اللد، الأب سيمون غرفة؛ الشيخ طاهر حماد وهو قاض شرعي؛ مبروك حسونة (أبو رجب)، عميد آل حسونة؛ الحاج إبراهيم حمزة؛ محمد علي التاجي (الكيالي) رئيس البلدية. وعند توجيههم إلى مبنى الشرطة أُطلقت عليهم النيران، زعم البعض أن مقاتلي المدينة هم الذين أطلقوا عليهم النار ويشك البعض الآخر في ذلك. وقُتل من جراء ذلك مبروك حسونة (أبو رجب) وأصيب الشيخ طاهر حماد بجروح بالغة في فخذه وفي حوضه الأمر الذي جعله عاجزاً عن السير، وكان يستعمل عصا طبية. ولمّا لم تنجح هذه المحاولة، جمع جنود

الاحتلال عدداً كبيراً من النساء وأجلسوهن على الأرض خلف الجامع الكبير في مقابل مبنى الشرطة، ووقف خلفهن جنود مع مدافعهم يطلقون منها قنابلهم فوق رؤوس النساء على مبنى الشرطة، لم يرد المقاتلون على النار بالمثل، عندما شاهدوا النساء يجلسن ووراءهن الجنود، كل لا يصيبوا النساء بأذى. كان صراخ النساء عالياً من الخوف كأنهن يردن إسماع أصواتهن للمقاتلين في المبنى كي لا يُصنَّب بقنابلهم. لكن هذه المحاولة لم تنجح أيضاً. استمر صوت المدافع يدوي من كل جانب ومقاتلو المدينة يردون بالمثل، وقد شاهدنا كيف كانت مدفعية العدو القريبة منا تقذف عدداً من القنابل، ثم تنتقل إلى مكان آخر خوفاً من رد مدفعية المقاتلين عليها بالمثل. استمر القتال في أثناء ساعات الليل أيضاً دونما فائدة. سمعنا أحد ضباط الاحتلال يقول إنه إذا لم يستسلم المقاتلون حتى الصباح فإنهم سيقصفون المدينة بالطائرات. أما سيل النازحين فبقي مستمراً حتى ساعات الليل. ثم علمنا أن المدرعات الأردنية التي اقتحمت المدينة رجعت إلى قواعدها بعد أن أخذت معها إدريس بك، قائد الوحدة الأردنية، ورفاقه من مبنى الشرطة المركزي الواقع بين اللد والرملة [...]■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>